مجلة جامعة الملك سعود، م ٦، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، ص ص ٢٦١ ـ ٢٨٢ (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

محمد صلى الله عليه وسلم في أسفار المجوس الزرادشتيين

الشفيع الماحي أحمد

أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. تهدف هذه الدراسة إلى عرض وتحليل بشارات أسفار المجوس الزرادشتيين بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قسمت الدراسة تلك البشارات تقسيمًا موضوعيًا ومعرفيًا، وذلك على النحو التالي:

١ ـ اسمه صلى الله عليه وسلم وصفاته وأحواله، فبينت أن الاسم الذي عرف به محمد صلى الله عليه وسلم هو «رحمة للعالمين» وعُرف أيضًا باسم أحمد الذي سماه به الحق عزّ وجلّ؛ أما عن صفاته وأحواله فقد اكتفت الدراسة بثلاث منها وهي: (ا) نبي الساعة الذي يبعث ونهاية الدنيا على وشك الحدوث، (ب) صاحب الجمل الأحمر أي المشهور بكثرة استخدامه للجمل في تنقلاته وتفرده بذلك دون رسل الله، (جـ) مبعثه في معية طائفة مصطفاة من الناس يعرفون بالطهر يساعدونه في نشر دينه.

٢ ـ زمان المبعث: وفيه أوضحت الدراسة أن محمدًا سيبعث بعد ألف سنة من موت زرادشت نبي المجوس، والزمن الذي حدد لمبعثه قريب من ميلاده صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ مكان المبعث: وفيه تعرضت الدراسة لما اتفقت عليه أغلب المصادر الزرادشتية من أن بلاد العرب هي المكان الذي بشر زرادشت به قومه كموطن للرسول صلى الله عليه وسلم وكمهبط للرسالة الخاتمة.

تطرقت الدراسة بالعرض والتحليل لتلك الموضوعات الثلاثة ومنها خلصت إلى أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن مجهولاً لأحد من المجوس فهم يعرفونه حق المعرفة باسمه وصفته، ومتى وأين وكيف يبعث رحمة للعالمين.

مقدمة

إن كلمة مجوس معربة عن الكلمة الفارسية القديمة مجوش magush بالكاف الفارسية[١، ص٦٩١] وكانت في الأصل تطلق على الدين و على أتباع الدين الذي كان سائدًا في فارس قبل مبعث زرادشت رسولاً ونبيًا بنحو ستة قرون قبل ميلاد المسيح . والكلمة تعني عبادة النار أو عباد النار، إذ كان الغالب على اعتقادات الدين وطقوسه تقديس النار إلى درجة التعظيم والإجلال.

وعندما طغت عوامل التحريف والتغيير والإضافات على أصول الدين الزرادشتي وفروعه تحول في النهاية إلى خليط متنافر وغريب يجمع بين مجوسية فارس القديمة وبين الزرادشتية المحرفة، ومن ثم فقد الدين أغلب خصوصياته ومميزاته الكبرى بصفته دينًا موحى به من عند الله، فمسخت حقيقته، وشوهت عناصر الإيمان فيه، فأطلق عليه القرآن اسم المجوسية لظاهر ما يسوده من اعتقادات، ولما يمارسه أتباعه من طقوس وعبادات هي أقرب تدينًا من الدين المجوسي القديم. وسمي أتباعه مجوسًا لغلبة تلك المظاهر عليهم. فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج، الآية: ١٧].

ويكفي من دقة حكم القرآن على حقيقة الدين الزرادشتي بعد التحريف والتبديل القول بأن الدين بالفعل غلبت عليه مظاهر المجوسية القديمة بدءًا من إدخال النار في صلب عقيدة التوحيد كرمز للإله الحق في عليائه. ومن ثم التوجه إليها في العبادة وتعظيمها، مرورًا بالمظاهر التعبدية المألوفة عند المجوس مثل قواعد التطهير المعقدة، وعرض جثث الموتى في أبراج عالية الجدران dahkams للطيور الجارحة بدلاً من دفنها في التراب، انتهاء باختصاص رجال الدين الزرادشتي بزي ولباس لا يكاد يختلف عما عهد عند المجوس، وتميزهم عن غيرهم باسم موغبت Mugupet (موبذ) [١، ص٦٩٥]، بمعنى عظيم المجوس أو حافظ دين المجوس.

وعلى أي حال فالراجح عندي أن القرآن أخبرنا بالصدق عن حقيقة الدين الزرادشتي، ووضع أتباعه بإزاء أتباع الأديان السماوية وفي مقام الكتابيين من الأمم السابقة للإسلام معتبرًا إياهم صنفًا مغايرًا للشرك وأهله، مثلهم في ذلك مثل أهل الكتاب من

اليهود والصابئة والنصارى، فهو يعترف لهم بالأصل الكتابي والتوحيدي لدينهم تمامًا كما يعترف ويصدق بالأصول الكتابية والتوحيدية لدين اليهود والصابئة والنصارى، وينكر عليهم في الوقت نفسه عقائدهم المحرفة والمبدلة والبعيدة عن كل ما له صلة بأصول الدين الحق. تمامًا كما يفعل الشيء نفسه لغيرهم من أهل الكتاب.

وعلى هدى اعتراف وتصديق القرآن سار المصطفى صلى الله عليه وسلم فوضع المجوس والمجوسية بإزاء أهل الكتاب، وحكم عليهم حكمه لأهل الكتاب فقال في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[٣، ص٢٠٧].

أما من حيث هم أهل كتاب فقد عامل الرسول صلى الله عليه وسلم المجوس في الجزيرة العربية من العرب والفرس معاملة أهل الكتاب، أي في أخذ الجزية عنهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير أكلي ذبائحهم ولا ناكحي نساءهم»[٤، ص١٣٧٢].

ولأجل كل ما مضى ذكره فقد اعتبر بعض فقهاء الإسلام، كالإمام أبي حنيفة والإمام أبي ثور وابن حزم والشيخ رشيد رضا[٥، ص١٨٥]، المجوس أهل كتاب، ونسوق هنا رأي الإمام ابن حزم على سبيل المثال، قال رحمه الله: «وأما المجوس فإنهم معترفون مقرّون بأن كتابهم الذي فيه دينهم أحرقه الإسكندر (٣٣١-٣٣٠ق.م.)، إذ قتل دارا بن دارا، وأنه ذهب منه الثلثان وأكثر، ولم يبق منه إلا أقل من الثلث، وأن الشرائع كانت فيما ذهبت، فإن كانت هذه صفة دينهم فقد بطل القول به جملة لذهاب جمهوره، وأن الله لا يكلف أحدًا ما لا يتكفل بحفظه، وكل كتاب دون فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله، فظهر من فساد دين المجوس كالذي ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء بسواء»[٦، ص ص١٩٩-٢٠٠].

فإذا ترجح عندي المصدر الإلهي للدين الزرادشتي. فلاشك أن طبيعة الدين ومحدودية منهجه واقتصاره على قوم بعينهم دون الناس جميعًا يقتضي بالضرورة أن يعلن زرادشت لقومه ما أوحى به الله إليه عن حقيقة محمد بن عبدالله النبي الخاتم والذي سيأتي من بعده رسولاً ونبيًا للناس أجمعين، وأن يتخذ ذلك الإعلان صورة العقد المؤكد بيمين وعهد، أي بميثاق، تمامًا مثلما قال تعالى لكل نبي ورسول أرسل لخاصة قومه قبل مجيئه صلى

الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٢ ، سورة آل عمران ، الآيتان : ٨١ ، ٨٢] .

وكما تفيد الآيتان ، فإذا بُعث محمد بن عبدالله في حياة زرادشت فيجب عليه بمقتضى ذلك العهد الموثق الإيمان به واتباعه والعمل على نصرته ونصرة دينه ، ثم أخذ زرادشت بنفسه العهد على قومه لاتباعه صلى الله عليه وسلم والإيمان به في حياته وبعد مماته ، وكل من يعرض عن الإيمان بمحمد من قومه ، فيعد خارجًا عن الدين مخلاً بالعهد وحكمه اللازم .

وكما هو معروف فلم يبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلا على فترة من الرسل ، ولم تتزامن دعوته مع دعوة زرادشت أو غيره من رسل الله وأنبيائه ، غير أن زرادشت ـ كما يستفاد من الآيتين ـ قد بيّن لقومه من أمره وأمر رسالته الخاتمة ما تجاوز البيان دائرة المعرفة العادية ليدخل في صميم دائرة الاستخلاف ، ولهذا لم يكن محمد مجهولاً لأحد من قومه فهم يعرفونه حق المعرفة .

ويطلق على جملة معرفة أهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم اسم البشارة ، أي الأخبار السارة والمفرحة بمقدمه صلى الله عليه وسلم ، وبهذا المعنى بشر به زرادشت قومه وأثبته لهم من الابتساق[١] Avesta الكتاب الموحى به من عند الله ، وأثبته المجوس من بعده في الأسفار التي جمعت ودونت في مراحل إحياء الدين المختلفة مثل سفر الدينكارد Dinkard والبندهشن Bundahishn .

---

١ الابتساق هو الاسم العربي لكلمة أفستا ، وكلمة أفستا فيما يبدو مجهولة الأصل ، لا تعرف حقيقتها ولا اشتقاقها ، وهي في أغلب الظن من الأصل الآري فيد أو بيذ بمعنى المعرفة أو العلم بما ليس بمعلوم ، والنسخة المتداولة اليوم من الابتساق تحتوي على أربعة أسفار هي : فنديداد ، كاثا ، يسنا ، ويشتا[٧ ، ص ص٦-٧] .

والبشـارات المبثـوثة على صفحات تلك الأسفار يمكن تقسيمها تقسيمًا يراعى فيه العنصر المعرفي، وهو الذي أخذ عليه العهد والميثاق، وفيه تتجلى معالم المعرفة وذلك من حيث:

- الاسم والصفات والأحوال التي عُرّف بها محمد.
- الزمن الذي سيبعث فيه رحمة للعالمين.
- الأرض التي تنطلق منها دعوته.

وعلى هذا الترتيب المعرفي سنتناول البشارات بالعرض والشرح والتحليل.

أولاً: الاسم والصفات والأحوال

محمد: المبعوث رحمة للعالمين

تتحدث أغلب أسفار المجوس عن عدة منقذين ومصلحين يبعثهم الله تعالى للعالم بعـد زرادشت، وعـلى فترات متبـاعـدة في الزمان لتحرير الإنسان من قبضة الشيطان، وإصلاح حال العباد، ولإحياء دين الله، آخرهم وأعظمهم على الإطلاق هو ساوشيانت Saoshyant.

وقد ورد اسم ساوشيانت وحده في سفر الكاثا Gatha والذي يعده المجوس من أقدم ما وصل إليهم من وحي الله تعالى، وبلغة زرادشت الأصلية وبكلامه الحقيقي. ففي إحدى مناجات زرادشت لربه ورد الاسم باللفظ والهيئة والنطق الذي استقر فيما بعد عند المجوس كاسم يخص آخـر رسـل الله تعـالى للنـاس أجمعـين، قال فيها زرادشت: «ياإلهي، دع ساوشيانت المبارك يعرف مني كلمات الحق والعدالة والإنصاف منسوجة في ثوب من الفكر الطيب، وعجل ياإلـهي بمبعثه حتى تحل بركاته على العالم كله»[٧، جـ٢، ص٩١].

وعندما جمع الابتساق في بداية حكم إردشير (٢٢٦م)، مؤسس الأسرة الساسانية، بعد ضياع أغلب أسفاره، أبقى الموابذة على هيئة الاسم ونطقه كما ورد في الكاثا دون تغيير، وأثبتوه في نسخة الابتساق الجديدة. فجاء في الفنديداد ـ أصح الأسفار التي ترجع إلى تلك الفترة وأدقها على الإطلاق ـ ما قاله زرادشت مخاطبًا الشيطان: «يا أهرمن الشرير أريد قتل مخلوقات الديوات Daevas أريد القضاء على النسو Nasus التي خلقتها، أريد قتل الباري Pari الذي يصلي الواحد منهم للأوثان والأصنام، منتظرًا ولادة ساوشيانت المنتصر، من مياه

بحيرة كانسويا Kansaoya ، من جهة الإقليم الشرقي، من جهة الأقاليم الشرقية»[٧، جـ١، ص١٣٧].

والاسم بلغة الابتساق الأولى مكون من مقطعين ساو Sao ، بمعنى ينفع أو يفيد، وشيانت وهو يشير إلى شخص مخلص ومنقذ[٧، جـ١، ص١٤٣] ومحيٍ لدين الله، ومجدد للعقيدة نقاءها وطهارتها، سيأتي في المستقبل، فالمقطع بصورة أو بأخرى يفيد حتمية مجيئه في مستقبل الزمان.

وفي مراحل متقدمة بعض الشيء من عمر الدين، وعندما سيطرت فكرة تجديد الدين وإحيائه على عقول المجوس وقلوبهم انحصر معنى اسم ساوشيانت بمقطعيه في (النافع أو النفّاع)[٧، جـ١، ص١٣٧]، غير أن دلالة المقطع الثاني واقترانها بشخص به تختم دورة كاملة من الزمان لتبدأ دورة أخرى جعلت الترجمة الحرفية لا تقف عند معنى النفع وحده، بل امتدت لتعني في مجملها ذلك الشخص الذي سيجيء (بالنفع والفائدة والعون والمساعدة للإنسانية جمعاء)[٨، ص١٤٣].

وفي مراحل تدهور الدين الزرادشتي وانحطاطه اقترن الاسم في أذهان المجوس بشخص سيبعث قبيل قيام الساعة ليقود الإنسانية في معركتها الأخيرة ضد الشيطان وأعوانه. وفي هذه الحقبة توقع المجوس مجيئه توقعًا دفع بهم للاعتقاد بولادته من نسل زرادشت ومن بذرته على نحو مباشر، أي هو الابن الحقيقي لزرادشت[٩، ص١٧٠].

وعلى أي حال، فالاسم في كل الأحوال يشير بوضوح إلى رسول سيأتي بعد زرادشت بفترة، وتتوافر فيه الصفات والخصائص التي تجعله مفتاح كل خير، ومعدن كل صلاح. ويستعين به العباد لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويعين الوجود والمخلوقات بل والعالم بأجمعه لكل ما فيه نفع وفائدة.

وما أراده زرادشت ومفسرو الابتساق ومترجموه من وراء تلك المعاني هو التعبير عن شخص رسول سيظهر للعالم باسم يرجع إلى عدة أسماء وصفات نفسية وأحوال وخصائص تلتقي كلها حول كلمة (الرحمة)، فإذا تحقق وجوده، وظهر للعالم بالفعل انتقلت جملة صفاته وأسمائه وخصائصه وأحواله من المرتبة المعرفية البحتة إلى المرتبة العملية، وبذلك تصبح رحمته عامة ينتفع بها العالم كله.

إذن فالمعنى الحقيقي الذي حامت حوله لغة الابتساق لاسم ساوشيانت، ورسخ في أذهان المجوس قديمًا، وبقي حيًّا في نفوسهم إلى يومنا هذا هو (رحمة للعالمين)، فمن ناحية تضمن الاسم معنى النفع والفائدة وهو الأصل في لغة الابتساق وسفر الكاثا على وجه أخص، ومن ناحية أخرى ارتبط ظهوره ونفعه وفائدته في مستقبل الزمان بالناس جميعًا والمخلوقات كافة، وهو الذي بشر به زرادشت قومه.

وانطباق الاسم وما يرجع إليه من صفات وأحوال على محمد بن عبدالله لا يكابر فيه أحد، فهو وحده من بين رسل الله وأنبيائه الذي أرسله ربه «رحمة للعالمين» فقال تعالى في شأنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٢، سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧]، وقال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن نفسه: «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة.» وقال في حديث آخر: «إنما أنا رحمة مهداة»[١٠، ص٢٦٩].

ويقصد بالرحمة النعمة العامة والشاملة للناس كافة، وهي إرساله صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبيًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فمن قبل هذه الرحمة وشكر نعمته تعالى سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها فقد ضيع نصيبه منها وخسر الدنيا والآخرة، وما يناله من رحمة ونعمة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ينحصر فقط في تأخير عقوبته الدنيوية من الخسف والمسخ والقذف وعذاب الاستئصال[١١، ص١٣٩].

وقد عبر سفر الكاثا عن تلك الرحمة الشاملة التي سيحظى بها الناس بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعبارة غاية في الدقة جاء فيها: إن ساوشيانت سيكون لكل البلاد، ولكل الشعوب، مصحوبًا على الدوام بالفكر الطيب، وساوشيانت لا يقول ولا يفعل من تلقاء ذاته. بل بإرشاد وتوجيه من الله (أهوارا مزدا Ahura Mazda)، وما يلقنه له ربه من تعاليم، سيلقنه هو بدوره للناس جميعًا مهما تباعدت ديارهم وأوطانهم»[٧، جـ٢، ص٩٢].

والنص الذي أورده الشهرستاني في كتابه *الملل والنحل* نقلاً عن الابتساق يعبر هو الآخر بعبارة قريبة مما عبر عنه سفر الكاثا عن عمومية وشمولية رحمته صلى الله عليه وسلم للعالمين، قال فيه: «سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه (أشيزريكا) ومعناه الرجل العالم، يزين العالم بالدين، ويحيي العدل، ويميت الجور، ويرد السنين المغيرة إلى أوضاعها الأولى، وتنقاد له الملوك، وتتيسر له الأمور، وينصر الدين الحق، ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن»[١٢، ص٢٣٩].

ومهما يكن من أمر، فقد ظل المجوس يتوقعون مجيء من بشر به نبيهم زرادشت رحمة مهداة للعالمين، منذ وفاته وطوال حقب متتالية من الزمن، وإبان تدهور الدين وانحرافه أدخلت فكرة الإيمان به في حالة ظهوره وإعلان دعوته للناس في صلب شهادتهم بالله ربًا وبزرادشت رسولاً ونبيًا. بل لا تصح في نظرهم شهادة أحد، ولا يقبل إيمانه إلا إذا تضمنت الإقرار والمجاهرة والاعتراف بمبعث ساوشيانت في آخر الزمان رسولاً ونبيًا ورحمة مهداة للعالمين[١٣، ص٣٨١].

وامتد اعتقادهم بمجيء هذا الرسول الكريم ومبعثه منذ ذلك الزمن البعيد وإلى وقتنا الحاضر، فلا يزال المجوس في الهند وإيران يحتفظون بشعلة النار في بيوتهم ومعابدهم رمزًا لله تعالى في الأرض وقبلة للعبادة، حية متقدة ولا ينبغي أن تخمد أبدًا، حتى يأتي - كما يرون - اليوم الذي يبعث الله تعالى فيه ساوشيانت المبارك ليجدد دين الله قبل يوم البعث[١٣، ص٢٨٨].

ولا يزال المجوس في الهند وإيران إلى يومنا هذا يقرنون بين آدم عليه السلام، أول الخلق وأول نبي، وبين محمد صلى الله عليه وسلم، آخر رسل الله مبعثًا في إشارة صريحة إلى أنهم سيتمسكون بما هم عليه من دين واعتقاد وعبادة إلى حين مجيء محمد صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان، والمقطع الذي جرت عادة المجوس على ترديده وتلاوته في آخر كل صلاة أو دعاء ويتضمن ذلك الاقتران بين النبيين ورد في اليشتا ونصه: «كل الخير والقوة لفرافاشيس Fravashis (ملاك) الطاهر، والمستحق لحمدنا وثنائنا، من زمن أول إنسان Gayomarthan وإلى زمن ساوشيانت المظفر والمنتظر أبدًا[٧، جـ٣، ص١٠٢].

أحمـــد

سمى الحق عزّ وجلّ رسوله الكريم أحمد، وذلك لحمده تعالى له قبل أن يحمده الناس، وحمده الناس بعد مبعثه حمدًا لم يحمد مثله أحد من قبله، ولن يحمد أحد من بعده كحمده صلى الله عليه وسلم، وباسم أحمد بشر أنبياء الله ورسله أقوامهم، وهو الاسم الذي حفظه الله تعالى لمحمد وحده أحق الناس وأجدرهم بالحمد والثناء، ومنع غيره عنه مع شيوع معناه ودلالته في لغات الناس.

والمجوس مثلهم في ذلك مثل أهل الكتاب عرفوا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالاسم الذي سماه الله تعالى به. وأثبته لهم نبيهم زرادشت فيما بين أيديهم من كتاب، لا أقول بلفظه العربي الصريح، وإنما بمعناه الفريد ودلالته المعجزة التي تعطي صورة ومعنى من تكاملت فيه خصال الخير حتى بلغت حد النهاية، فكثر حمد الناس وثناؤهم وتمجيدهم له جيلاً بعد جيل، وأقوى لفظ احتوى على تلك المعاني مجتمعة أعطته لغة قدماء الفرس لاسم أحمد هو (الأشهر والألمع)[١٣، ص٢٨٧]، والمستحق للتقدير[١٤، ص٢٨٩].

وليس في وسع لغة الابتساق الإبانة عن الاسم ومعانيه المتعددة أكثر مما أعطته للاسم من صور ومعان ذهنية، لأن الاسم ـ كما نعرف ـ يرد في اللغة العربية بصيغة أفعل التفضيل الدالة على تجدد حمده في كل وقت وأوان بلا توقف، وذلك لتجدد خيره ونفعه وفائدته للناس بتجدد الزمان. مما تحتم حمد الناس له وثناؤهم عليه بلا نهاية، ودقة المعنى الكامن في الاسم وتفرده ومنع الناس عنه تجعل بلا أدنى شك أي لغة عاجزة عن استيعابه والتعبير عنه، فاكتفت لغة الابتساق بعبارات تضمنت قدرًا من المبالغة في التفضيل وفي المعرفة بحيث تقرب الاسم إلى الذهن وفي الوقت نفسه تعطيه خصوصية قيدتها في تفرده بوضوح أمره وتقدير الناس له ليل نهار.

وقد حامت اللغات التي تكلم بها اليهود والنصارى حول دلالة اسم أحمد ومعانيه الفريدة تمامًا كما فعلت لغة الابتساق، فمثلاً عندما ترجم الإنجيل إلى اللغة اليونانية لم يعثر المترجمون على لفظ أو اسم يقابل اسم أحمد ويطابقه في معانيه وإيحاءاته غير اسم «بيركليتوس» Perigleitos، وفسر الاسم تفسيرًا لا يختلف كثيرًا عن تفسير الابتساق، ففي قاموس اللغة اليونانية ورد تفسير الاسم بمعنى «الذي هو معروف للجميع، والذي يسمع ذكره بسهولة، وهو مشهور جدًا ولامع جدًا»[١٥، ص٢٢٢].

والنص كما هو بين وواضح من دلالته اللغوية يعني الأشهر والألمع، وهو نفس ما تبين وانكشف لمترجم النص في اللغة الفارسية القديمة، ومعلوم بداهة أن شهرة محمد صلى الله عليه وسلم، وذيوع صيته ومعرفة كل الخلق به، مستمدة في الأصل من كثرة خصاله الحميدة ولذلك لهجت ألسنة الناس بذكره، والعبارات كما ترجمت في مبالغتها وتفضيلها تفيد إذا نقلت للعربية اسم أحمد وعلى نحو مباشر، وبلا لبس أو غموض.

الصفـات والأحـوال

تحدث زرادشت في كثير من بشاراته عن محمد صلى الله عليه وسلم بوصفه الخليفة الأوحد من بعده في قومه، وهو وحده القادر على قيادتهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، وكان يعتـبر نفســه ودوره مرحلة إعداد وتهيئة لأعظم رسول ورسالة في حياة الإنسانية، فيقول لأتباعه عن حقيقة هذا الرسول الكريم: «إن هذا الإنسان سوف يترقى في سلم الكمال من منزلة إلى منزلة حتى يبلغ حد الكمال النهائي. وهو وحده القادر على تلقيننا كل الوسائل التي تخلصنا من ابتلاءات الحياة، حياة البدن وحياة العقل، وهو وحده القادر على هدايتنا إلى عالم الحقيقة المجردة في معية الله تعالى»[٧، جـ٢، ص٧١].

أخـذت نصوص الأسفار المتأخرة مجمل ما بشر به زرادشت في الابتساق وصاغته صياغة تطابق إلى حد كبير ما اشتهر به محمد صلى الله عليه وسلم، فعرف صلى الله عليه وسلم بجملة صفات وأحوال منها: «إن جسمه يشع كالنور، وطعامه روحاني، تبدو على صفحة وجهه الجميل آيات السمو والرفعة والجلال، ينظر أمامه وخلفه بقوة ستة عيون، ويكشف له ربه حجب المستقبل البعيد، ويتنبأ بنهاية العالم وقيام الساعة، هو أعظم مجدد وأعظم مصلح في العالم، بعثه الله ليحيي الأموات للحياة الباقية لا الحياة الفانية، وهو وحده الـذي سيجيء للعـالم بالكـمال النهائي، وبمجيئه تتلاشى كل أنواع الشرور في العالم، وتضمحل مملكة الشيطان، ويضعف ما بقي لها من نفوذ، وفي زمانه ينزل ملائكة الله لمعاونة الإنسان ـ وهو معهم ـ لاجتثاث الشرور»[١٣، ص ص٢٨٧ـ٢٨٨].

وفي نص آخر يقول زرادشت ما يفيد الآتي: إذا كان زرادشت في زمانه نبيًا عظيمًا، ومصطفى مختارًا من عند الله، فكذلك حال ساوشيانت في زمانه، بل هو أعظم من كل رسل الله، لأنه هو وحده حبيب الله الذي يحب الله كل من يحبه[٧، جـ٢، ص٨٢]، وقد خصه الله من دون الرسل بكتاب (Nask) جديد، حتى الآن هو مجهول، ولكن سيوحي به الله للناس جميعًا، رحمة بهم وهداية لهم[٩، ص٤١٣].

وفيما يلي عرض مبسط لبعض ما عرف به محمـد صلى الله عليه وسلم من صفات وأحوال في أسفار المجوس:

نبي الساعة

هناك ارتباط وثيق، وصلة متينة في اعتقاد المجوس بين نهاية العالم ومبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبعض فقرات من سفر الكاثا توحي بأن الله تعالى قد ائتمن زرادشت على سر خطير وأمر عظيم هو أن مجيئه إشارة إلى دخول العالم في أيامه الأخيرة، ولذا يجب على الجنس البشري كله المشاركة الفعالة في الصراع النهائي والمعركة الأخيرة بين الخير والشر والنور والظلمة[١٧، ص٤٦٧].

وعلى أي حال فاعتقاد المجوس قد بني في الأصل على ذلك الارتباط القوي بين مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين قيام الساعة والبعث والنشور، فكأنهم يقصدون أن من أشراط أيام الدنيا الأخيرة مجيء محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومجددًا لدين الله وهاديًا لعباده، فهناك إذن اقتران بين مبعثه عليه السلام وبين قرب القيامة وسرعة مجيئها، وهذا يتفق تمامًا مع رسالته ونبوءته صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى»[١٨، ص٧٣٢]. وقال أيضًا: «بعثت أنا والساعة جميعًا وإن كادت لتسبقني»[١٩، ص٣٤٨].

ورسول الله تعالى هو نبي الإنسانية الأخير، فلا يليه أحد في النبوءة، وإنما تليه القيامة والبعث تمامًا كما تلي «السبابة الوسطى وليس بينهما إصبع أخرى»[١٨، ص٧٣٣].

وكما هو بين بنفسه فقد عرف المصطفى صلى الله عليه وسلم عند المجوس بنبي آخر الزمان أو نبي الساعة، فيبعثه الله تعالى وليس بينه وبينها شيء، أو على حد تعبيرهم يبعث ونهاية الدنيا على وشك الحدوث، وفي زمانه تنشب آخر معارك الإنسان بين الخير والشر، وبين النور والظلام، وتنتهي بانتصار الخير على الشر، والنور على الظلمة، وتهزم مملكة الشيطان هزيمة لا تقوم لها بعدها قائمة[٨، ص١٤٣].

صاحب الجمل الأحمر

وصف زرادشت ـ فيما نقله عنه ابن الأثير ـ محمدًا صلى الله عليه وسلم بركوب الجمل فقال لأتباعه: «تمسكوا بما جئتكم به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر من بلاد العرب»[١٩، ص٢٥٩].

وليس بالأمر الغريب وصفه صلى الله عليه وسلم بركوب الجمل، فهو ما اشتهر به بعد مبعثه، وقد كانت معظم تنقلاته تتم على ظهر ناقته القصواء، وبنفس هذا بشر أنبياء بني إسرائيل كعلامة دالة على صدقه، وكحالة خاصة انفرد بها دون غيره من الأنبياء، فيقول إشعياء واصفًا له: «قيل لي قم فانظر ماذا ترى تخبر به، قلت أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها المنحورة» [٢٠، ص ٧٢].

ومراد إشعياء براكب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم، وبراكب الحمار عيسى عليه السلام، وشهرة محمد بركوب الجمل مثل شهرة عيسى بركوب الحمار، فقد كان عيسى يستعمل الحمار في تنقلاته، وحين أراد الذهاب إلى أورشليم بعد ذيوع أمره استخدم الحمار، الحيوان الوحيد المهيأ للتنقل في تلك المنطقة، فقال برنابا مؤرخًا ذلك الحدث البارز في تاريخ الدعوة: «فوضع التلميذان رداءيهما على الجحش، وركب يسوع وحدث أنه لما سمع أهل أورشليم أن يسوع الناصري آت خرج الناس متشوقين لرؤية يسوع حاملين في أيديهم أغصان النخل والزيتون مرنمين: تبارك الآتي إلينا باسم الله مرحبًا بابن داؤد، فلما بلغ يسوع المدينة فرش الناس ثيابهم تحت الجحش مرنمين: تبارك الآتي إلينا باسم الرب مرحبًا بابن داؤد» [٢١، ص٢١٦].

أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد اشتهر بركوب الجمل، حتى صار ذلك خاصة من خواصه التي بها يعرف، ومن هنا بشر بها الأنبياء أقوامهم لتكون علامة من العلامات المميزة له حين دعوته للناس، فلا يلتبس عليهم، والجمل كما هو معروف الحيوان الوحيد القادر على التنقل في بلاد العرب الصحراوية شحيحة المياه قليلة الخضرة، ويستحيل فيها الاستفادة من الفرس أو الحمار في الأسفار البعيدة.

أصحاب محمد

يبعث محمد صلى الله عليه وسلم للناس وبصحبته طائفة مختارة من الناس تساعده في دعوته وإبلاغها للخلق كافة، وهؤلاء وصفهم سفر اليشتا بقوله: «وأصحاب ساوشيانت يسيرون إلى الأمام والنصر حليف لهم، تفكيرهم صائب وكلامهم غاية في البلاغة، أعمالهم صالحة ونافعة للبشر، قلوبهم متعلقة بشريعة نبيهم، لا يعرفون الكذب أمامهم ايشما

Aeshma بسلاحه الفتاك يقضي على الشيطان اللعين المولود من بذرة خبيثة في قلب الظلام»[٧، جـ٣، ص١٣٤].

والأسفار التي تم جمعها وتدوينها في آخر مراحل إحياء الدين وصفت هؤلاء الصحابة بالعظمة والخلود والتقوى والورع والسعي الدؤوب والمتواصل لإسعاد الجنس البشري، واعتبرت من يحمل تلك الصفات من الرؤساء وأبرز هؤلاء نص عليهم بالاسم وهم: ناريش Narish ، أرفاتدنر Uravatadnar ، توس Tus ، باراسادقا Parasadga ، اقبريرات Agbrerat ، جيف Giv ، بيشيونات Peshuotan ، آشارفازد Ashavazd ، إبيراز Ibairaz ، ومع هؤلاء الرؤساء الذين يحملون تلك الصفات ألوف آخرون يخرجون عن الحصر [١٣، ص٢٨٨].

ثم خص سفر الدينكارد ستة من صحابته صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء هم: فرادات قادمان Fradat-gadman ، وخور شاشم Khur-chashm ، وروشن شاشم Roshn-chashm ، وكاماك سدقامان Kamak-sudgadman ، وكاماك فاخشيشن Kamak vakhshishn ، وفاريدات قادمان Varedat-gadman ، سيتولى كل واحد منهم إدارة واحدة من المناطق السبع في الأرض، وكل منهم يستقل بالعمل عن صاحبه، ولكنه في الوقت نفسه يتصل به بطريقة خارقة للعادة، فيقرأ على البعد القصي أفكار صاحبه كما لو كان يجلس بجواره ويحاوره وجهًا لوجه[١٣، ص٢٨٩].

أما سفر البندهشن فقد تحدث عن خمسة عشر رجلاً وامرأة هم الذين سيكونون في معيته صلى الله عليه وسلم ويساعدون في إيصال رسالة الله ومنهجه للناس، ويحملون معه عبء الجهاد وحرب أعداء الله، وهؤلاء كما يقول السفر هم الذين قدر لهم الانتشار في العالم والامتزاج بالجنس البشري كما تمتزج الخميرة بالعجين، وهم أصل الخير وسبب في صلاح الناس وفي سعادتهم[١٣، ص٢٨٩].

نستخلص من كل ذلك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم سيأتي في معية طائفة معينة ومصطفاه من خلق الله، تحيط به وتبقى إلى جواره لا تفارقه أبدًا، وفي ذلك إشارة صريحة إلى حالة خاصة ميز بها صلى الله عليه وسلم عن غيره من الأنبياء والرسل، وتفرد هؤلاء عن غيرهم بالطهر والنقاء وبالشجاعة والإقدام، وهم الذين حملوا معه ومن بعده عبء الدعوة وجاهدوا بالنفس والمال في سبيلها، وبفضلهم انتشر دين الله الخاتم، وعن طريقهم عرف

الناس معنى الإيمان، وبهم اهتدوا إلى سواء السبيل، وهم الذين ساسوا الناس بشريعة الله الغراء فانتشر بين الناس العدل، وعم الأرض السلام.

وما ورد في أسفار المجوس لا يزيد على ما مضى في شيء، وذلك للعلاقة المتينة بينهم وبين رسول الإسلام ورسالته، ولم يعرف في تاريخ النبوءة مثل هذه العلاقة ولا مثل هؤلاء الأطهار، وستبقى تلك العلاقة خاصة فريدة من خواص الإسلام ونبيه، وعلامة كبرى من علاماته ما بقي الليل والنهار.

ثانيًا: زمان مبعث نبي الرحمة

سيظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم في أغلب نصوص الابتساق وأدبياته بعد ألف سنة من موت زرادشت [١٣، ص٤٦٧]. وظهوره يعني — كما تنبأ زرادشت نفسه — ذهاب دينهم وزوال دولتهم معًا[٢٣، ص٨٦]، أي انتقال الوحي والنبوءة والملك الدنيوي إلى غيرهم، ومن هنا عد زرادشت في نظر المجوس بشيرًا بخاتمة زمان وابتداء زمان آخر يتجه فيه العالم كله إلى كماله النهائي، وذلك بتجديد الإيمان والدين والتجديد الذي يقفل به باب النبوءة، ولأجل ذلك يشهد العالم انتصار الحق على الباطل، والإيمان على الكفر، والخير على الشر، والنور على الظلمة.

وبتقادم العهد تحولت فكرة ظهوره صلى الله عليه وسلم على رأس الألف سنة إلى عقيدة راسخة في النفوس، وآمن بها الناس إيمانًا عميقًا تحدث عنه المؤرخون اليونان المعاصرون لهم في مؤلفاتهم بوصفه من الأمور الشائعة بينهم شيوعًا لافتًا للنظر وداعيًا للحيرة والدهشة[١٣، ص٢٨٩]، فيقول المؤرخ اليوناني بلوتارخ حاكيًا عما كان يعتقده المجوس في زمانه: «وفي عصر تجديد الإيمان على رأس الألف سنة يتكلم الناس لغة واحدة، وتضمهم دولة واحدة، عندها يهزم الكذب والشر هزيمة ساحقة، ويزول الجوع والعطش، ويبلغ الناس درجة من الشفافية بحيث لا يرى لهم ظل، أما ساوشيانت نبي الرحمة فسوف يقيم مملكة الله الدائمة في الأرض، وبقيامها تضمحل وتزول دولة الشيطان إلى الأبد[١٣، ص٢٩٠].

فإذا صح ما انتهى إليه مجوس الهند من أن زرادشت قد مات قتيلاً في اليوم الحادي عشر من السنة الثامنة والأربعين لدعوته، والذي يوافق اليوم الأول من شهر مايو لسنة

٥٨٣ ق.م [١٣، ص٤٥٦]، فسوف يحل رأس الألف سنة بالتحديد عام ٥٨٣ للميلاد، وبذلك تصبح نهاية الألف والتي حددت لظهور محمد صلى الله عليه وسلم قريبة للغاية من الزمن الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم، وهو عام ٥٧٢ لميلاد المسيح.

والمجوس عمومًا كانوا يتوقعون قبل نهاية الألف عام وبعد رحيل زرادشت ظهور رسول يبعثه الله إعدادًا لمبعث الرسول الخاتم، كما أخبرهم نبيهم، وقد حدد لهم كعلامة لميلاده ظهور نجم مضيء ومتألق، ولذلك كان علماء المجوس يرصدون دومًا حركة النجوم في السماء ترقبًا لظهور هذا النجم، فإذا ظهر دل ذلك بالفعل على ميلاد النبي المبعوث قبل النبي الذي بشر به نبيهم على رأس الألف سنة، ونبه الكل على اقتراب نهاية دورة كاملة من عمر النبوءة، وبداية لدورة أخرى تمتد إلى قيام الساعة.

وفي الليلة التي ولد فيها عيسى عليه السلام ظهر النجم ورآه في بلدة سابا ثلاثة من علماء المجوس هم بلداسار وجسبار وملكيور[٢٥، ص٤٤]، وبمجرد شيوع الخبر بين الناس ووصوله إلى السلطة الدينية في فارس، استقر الرأي على إرسال بعثة تحمل هدايا وقرابين للوليد، وتكونت البعثة من هؤلاء الثلاثة، فحمل الأول منهم صرة من لبان والثاني صرة من مر، والثالث صرة من تبر[٢٦، ص٢٤٦]، ثم اتجهوا جميعًا غربًا صوب فلسطين يهديهم في حلهم وترحالهم ذلك النجم.

أما باقي ما جرى للمجوس الثلاثة فيحكيه برنابا قائلاً:

فلما بلغوا أورشليم سألوا أين ولد ملك اليهود؟ فلما سمع هيرودوتس ذلك ارتاع واضطربت المدينة كلها، فجمع من ثم هيرودوتس الكهنة والكتبة قائلاً: أين ولد المسيح؟ فأجابوا: أنه يولد في بيت لحم لأنه مكتوب في النبي هكذا، وأنت يابيت لحم لست صغيرة بين رؤساء يهوذا لأنه سيخرج منك مدبر يرعى شعب إسرائيل، فاستحضر هيرودوتس إذ ذاك المجوس وسألهم عن مجيئهم فأجابوا أنهم رأوا نجمًا في المشرق هداهم إلى هناك، فلذلك أحبوا أن يقدموا هدايا ويسجدوا لهذا الملك الجديد الذي تبدى لهم نجمه، فقال حينئذ هيرودوتس اذهبوا إلى بيت لحم وابحثوا بتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه تعالوا وأخبروني لأني أنا أيضًا أريد أن أسجد له، وهو إنما قال ذلك مكرًا.

وانصرف المجوس من أورشليم وإذا بالنجم الذي ظهر لهم في المشرق يتقدمهم، فلما رأوا النجم امتلأوا سرورًا، ولما بلغوا بيت لحم وهم خارج المدينة وجدوا النجم واقفًا فوق

المنزل حيث ولد يسوع، فذهب المجوس إلى هناك، ولما دخلوا المنزل وجدوا الطفل مع أمه، فانحنوا له وسجدوا له، وقدم له المجوس طيوبًا مع فضة وذهب، وقصوا على العذراء كل ما رأوه، وبينما كانوا نيامًا حذرهم الطفل من الذهاب إلى هيرودوتس، فانصرفوا من طريق آخر وعادوا إلى وطنهم[٢٢، ص ص١٧-١٨].

وبعد ميلاد عيسى عليه السلام بما يزيد على قرنين من الزمان سيطرت على أذهان المجوس ليس فقط فكرة قرب ظهور نبي الرحمة، بل أيضًا فكرة انقراض الدين الزرادشتي وزوال الإمبراطورية الفارسية، وقد أشار أردشير إلى ذلك كأمر حتمي وواقع لا محالة، فقال في آخر عهده لولده ولأحفاده: «فإني قد عهدت إليكم عهدي وفيه صلاحكم وصلاح ملوككم وعامتكم ولن تضيعوا ما احتفظتم بما رسمته لكم، ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس ألف سنة لظننت أني قد خلفت فيكم ما إن لم تؤثروا عليه وتمسكتم به كان تمسككم به علامة بقائكم ما بقي الدهر، ولكن الفناء إذا جاءت أيامه أطعتم هؤلاء واستعملتم آراءكم، وتنقلتم عن مراتبكم، وعصيتم خياركم، وأطعتم شراركم»[٢٧، ص٨٣].

وأكد تنسر فقيه المجوسية الكبير، والذي شارك أردشير في جمع نصوص الابتساق بعد ضياعها على يد الإسكندر المقدوني، ما ذهب إليه أردشير وما هو شائع ومألوف بين خواص الفرس وعامتهم، فقال في آخر كتابه: «لولا أنا قد علمنا أن بلية نازلة على رأس الألف سنة لقلنا إن ملك الملوك (أردشير) قد أحكم الأمر إلى الأبد، ولكنا قد تأكد لنا أن البلايا على رأس الألف سنة، وسبب ذلك ترك أمر الملوك، وإغلاق ما أطلق، وإطلاق ما أغلق، وذلك للفناء الذي لابد منه، ولكنا وإن كنا أهل فناء، فإن علينا أن نعمل للبقاء، نحتال له إلى أمد الفناء»[٢٨، ص ص٧٠-٧١].

وقبيل مولده صلى الله عليه وسلم ستحدث في فارس كما تنبأ سفر البندهشن أمور خارقة عادة وليست مألوفة في حياة الناس من أهمها امتناع الناس عن أكل اللحوم واعتمادهم على اللبن والخضروات، ثم يكف الناس تدريجيًا عن تناول اللبن ويقتصرون فقط على الخضروات، ثم يأتي عليهم وقت يمتنعون فيه عن الخضروات، ويعيشون بلا طعام من أي نوع، ومع ذلك فلا يموتون، في هذا الوقت يكون العالم كله مهيأ لاستقبال آخر الأنبياء والمرسلين[١٣، ص٢٨٩].

أما الأحداث التي جاءت متزامنة مع ميلاده صلى الله عليه وسلم، وكانت مصدر إزعاج وقلق لأولي العلم منهم بنبوءات زرادشت وبشاراته فهي: سقوط أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمود النار التي يحرص الموابذة على إبقائها حية مشتعلة في المعابد، ولم تخمد من قبل طوال ألف عام، وغياب الماء من بحيرة ساوة، وما رآه الموبذ موبذان في الليلة نفسها التي شهدت تلك الأحداث، رأى إبلاً صعابًا تقود فيلاً عرابًا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها[٢٩، ص٦٨].

ولم يجد أولو العلم من المجوس بدًّا من الاعتراف بالحقيقة المرة، فتلك الظواهر الخارقة للعادة ما هي إلا البداية الفعلية لتحقق نبوءات زرادشت، وكلها تشير كما فسرها موبذ الدولة إلى «حادث يكون من ناحية العرب»[٢٩، ص٦٨] به تختم الألف عام، ويذهب الدين الزرادشتي وتزول مملكة الفرس.

وكل ذلك قد تحقق بالفعل، فبعد سنوات على تلك الظواهر العجيبة سمع المجوس في عقر دارهم بمبعثه عليه السلام رسولاً ونبيًّا، وبعدها بسنوات قلائل انتشر أتباعه في فارس فقضوا على دولة الأكاسرة، وأقاموا بدلاً عنها دولة الإسلام الخالدة، ودخل المجوس في دين الله أفواجًا، وبدأ تأثير المجوسية ينحسر في نفوس من ظل على دينه منهم رويدًا رويدًا حتى تضاءل وذهب أغلبه، ولا يعتقده اليوم في إيران إلا أقلية ضئيلة تعيش منزوية بعيدًا عن المجتمع على أطراف الصحراء في مدينتي يزد وكرمان[٣٠، ص١٨].

ويعزي المؤرخ ابن الأثير سبب العداوة والبغضاء بين العرب والمجوس في الجاهلية وقبل الإسلام[١٩، ص٢٥٩] إلى سيادة العرب المتحققة عليهم، واستيلائهم على بلادهم، وتذويبهم في دولتهم الجديدة. ولعل خير من عبر عن هذه العداوة قولاً وفعلاً هو سابور الثاني[٣١٠ - ٣٨٢م]، فيحكي عنه المسعودي ما فعله بالعرب بناءً على ما تيقنه من نبوءات فقال:

وقطع سابور البحر إلى بلاد العرب فأتى البحرين، فوضع السيف فيهم ومزقهم شر ممزق، ورفض ما قدموه له من فدية، ولم يهتم بالغنيمة، ثم توجه إلى هجر، وكان بها خلق كثير من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبدالقيس فصب عليهم سوط عذاب، وقام بنزع أكتافهم، . ففر من بقي من بني تميم، وكان شيخهم يومئذ عمرو بن تميم بن مر، فأراد قومه

حمله معهم فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم فخلوا عنه، فصبحت خيل سابور الديار، فنظروا إلى أهلها وقد ارتحلوا وجاءوا به إلى سابور، فلما وضع بين يديه نظر إلى دلائل الهرم ومرور الأيام عليه ظاهرة فقال له عمرو:

ما الذي يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب؟

قال سابور: أقتلهم لأنا ملوك الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستدال علينا، وتكون لهم الغلبة على ملكنا.

فقال عمرو: هذا أمر تحققه أم تظنه؟

قال: بل أتحققه ولا بد أن يكون[٢٦، ص ص ٢٨١، ٢٨٢].

ثالثًا: مهبط الوحي والنبوءة

حُددت الجزيرة العربية أو بلاد العرب بالاسم في بعض المصادر التي أرخت للدين المجوسي[١٩، ص٢٥٩] كمهبط الوحي وكموطن للنبي المبعوث على رأس ألف سنة من وفاة زرادشت، وربطت الأسفار المتأخرة للمجوسية بين مهبط الوحي في بلاد العرب وبين حالة الفرس المتردية اجتماعيًا ودينيًا في زمان مبعثه، وبما سيئول إليه أمرهم على أيد أتباعه، ونصت على تحويل قبلتهم نحو كعبة إبراهيم فجاء فيها: «وعندما ينحدر الفرس إلى الحضيض الخلقي وينبذون دينهم، يتضعضعون ويهون أمرهم، عندئذ ينهض رجل في بلاد العرب، يزلزل أتباعه دينهم وعرشهم وكل شيء لديهم، وسيغلب جبابرة الفرس المتغطرسين والمتكبرين، ويستولي أتباعه على الأماكن المقدسة للفرس، وكل المواقع المحيطة بها، وبعد عبادة النار واتخاذها قبلة للصلاة في هياكلهم وداخل منازلهم، يولون وجوههم نحو البيت المعمور (الكعبة) والذي تطهر من الأصنام والأوثان، ويومئذ يصبحون (يعني الفرس) من أتباع ساوشيانت»[٢٩، ص١٧٦].

أما في الابتساق فقد ورد ذكر أحد الأماكن التي يقترن احتفاؤها بميلاده صلى الله عليه وسلم، فجاء في سفر الفنديداد: «الثناء العاطر للأرض التي خلقها الله (أهورامزدا)، وللماء الطاهر، وللأشجار، والمجد لبحيرة هأواسرفنها Haosravanha وللسماء الجميلة، والنور اللامتناهي، ولجنة الخلد التي أعدت للمتقين» [٧، جـ١، ص١٤٢].

وبحيرة هاواسرفنها هي نفسها بحيرة ساوة التي غاض ماؤها يوم مولده صلى الله عليه وسلم، والبحيرة كانت موجودة في السنوات التي كان ينزل فيها الوحي على زرادشت، وموقعها على مقربة من بحيرة أورميا حيث ولد زرادشت[٣٠، ص١٠٤].

وقد تنبأ الابتساق باختفاء بحيرة ساوة وغياب مائها بطريقة أثارت حيرة زرادشت وعجبه، فسأل ربه قائلاً: «أحق ياإلهي أنك ستأخذ مياه بحيرة هاواسرفنها بواسطة الرياح والسحب، فأجابه ربه قائلاً: أجل إن الأمر كذلك يازرادشت الطاهر، أنا الله (أهورمزدا) سأخذ المياه من بحيرة هاواسرفنها بواسطة الرياح والسحب» [٧، جـ١، ص٤٢].

ولعل تلك الإشارة الدقيقة لهبط الوحي لآخر رسل الله تعالى والمبشر في أسفار المجوس مقترنة بغيرها من البشارات هي التي أدت بالفرس في سالف الزمان لزيارة البيت الحرام والطواف به تعظيمًا وتقديرًا لدوره في الرسالة الخاتمة، وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشير، وهو الذي أهدى الكعبة «غزالين من ذهب وجواهر وسيوفًا وذهبًا كثيرًا، دفن في زمزم»[٢٤، ص٢٦٥].

وبعد ظهور الإسلام افتخر شعراء الفرس بما كان يفعله أسلافهم من تعظيم للكعبة وإغداق الأموال والهدايا عليهم، فقال أحدهم:

وما زلنا نحج البيت قدمًا ... ونلقى بالأباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى ... أتى البيت يطوف دينا
فطاف به وزمزم[٢] عند بئر ... إسماعيل تروي الشاربينا

[٢٥، ص ٢٦٥].

---

٢ ـ الزمزمة هي دعاء المجوس في الصلاة وعند الأكل وغيرها من العبادات بصوت لا يكاد يفهم، ولا يزال المجوس في الهند وإيران إلى يومنا هذا يدعون بشفاه مطبقة وتصدر عنهم أصوات ليست ملفوظة بوضوح[١٣، ص٤٤١].

المراجع

[١] علي جواد . *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* . جـ٦ . بيروت : دار العلم للملايين؛ بغداد : مكتبة النهضة، ١٩٧٠م .

[٢] القرآن الكريم .

[٣] مسلم، الإمام . *الجامع الصحيح ـ شرح النووي* . القاهرة : د.ن، د.ت .

[٤] الصنعاني، محمد بن إسماعيل . *سبل الإسلام شرح بلوغ المرام* . جـ٤ . تحقيق محمد عبدالعزيز الخولي . بيروت : دار الجيل، ١٩٨٧م .

[٥] رضا، محمد رشيد . *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)* . جـ٦ . بيروت : دار المعرفة، د.ت .

[٦] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد . *الفصل في الملل والأهواء والنحل* . جـ١ . تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة . جدة : شركة مكتبات عكاظ، ١٩٨٢م

[٧] *Avesta: The Religious Books of the Parsees*. Translation by Arthur Henry Bleek. Hertford: Stephen Arstin, 1864.

[٨] Boyce, Mary. *Zoroastrians, Their Religious Beliefs and Practices*. London: Routledge and Kegan Paul, 1979.

[٩] Hopte, Lewis M. *Religions of the World*. London: Collier Macmillan Publishers, 1976.

[١٠] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل . *تفسير القرآن العظيم* . جـ١ . بيروت : دار الأندلس، ١٩٦٦م .

[١١] الزمخشري، محمود بن عمر . *الكشاف عن حقائق التنزيل* . جـ٣ . تحقيق مصطفى حسين أحمد . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى، د.ت .

[١٢] الشهرستاني، أبو الفتح عبدالكريم . *الملل والنحل* . تحقيق محمد سيد كيلاني . بيروت : دار المعرفة، د.ت .

[١٣] Dhalla, Maneckji Nusservanji. *History of Zoroasterianism*. Bombay: The K.R. Cama Oriental Institut, 1963.

[١٤] Dhalla, Maneckji. *Zoroastrian Theology*. New York: AHS Press, 1972.

[١٥] داؤد، عبدالأحد . *محمد في الكتاب المقدس* . ترجمة فهمي شما . قطر : دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م .

[١٦] Boss, John B. *Man's Religions*. New York: Macmillan, 1951.

[١٧] القرطبي، شمس الدين أبو عبدالله بن محمد بن أحمد . *التذكرة في أحوال الموتى والآخرة* . تحقيق أحمد حجازي السقا . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٠م .

[١٨] البخاري، الإمام. *الجامع الصحيح*. بشرح بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني. بيروت: المطبعة المنيرية، د.ت.

[١٩] ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم. *الكامل في التاريخ*. جـ١. بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م.

[٢٠] ابن قيم الجوزية، محمد أبو بكر. *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*. مكة المكرمة: مؤسسة مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ.

[٢١] برنابا. *إنجيل برنابا*. الكويت: دار الوثائق، ١٩٨٦م.

[٢٢] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. *التنبيه والإشراف*. تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي. القاهرة: دار الصاوي للطبع والنشر، ١٩٣٨م.

[٢٣] ماركو بولو. *رحلات ماركو بولو*. ترجمها إلى الإنجليزية وليم مارسون، ترجمها إلى العربية عبدالعزيز جاويد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

[٢٤] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. جـ١. بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٥م.

[٢٥] أردشير. *عهد أردشير*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٧م.

[٢٦] تنسر. *كتاب تنسر*. ترجمة يحيى الخشاب. القاهرة: جماعة الأزهر للنشر والتأليف، د.ت.

[٢٧] البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين. *دلائل النبوءة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. جـ١. تحقيق أحمد صقر. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٠م.

[٢٨] Hartman, Sven S. *Parsism, the Religion of Zoroaster*. Leiden, 1980.

[٢٩] رابطة العالم الإسلامي. *لماذا أسلمنا*. مكة: مؤسسة مكة للطباعة، د.ت.

[٣٠] Sykes, Percy. *A History of Persia*. Vol. 1. London: Macmillian, 1958.

Mohammed in the Scriptures of the Magi Zoroastrians

Al Shafea Almahi Ahmed
Assistant Professor, Department of Islamic Studies,
College of Education, King Saud University,
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This study aims at presenting and analyzing the Magi Zoroastrians scriptures prophecies of Mohammed and is divided into logical divisions as follows: his name, qualities and state; time in which he will be sent; and his home place and the home of the final religion. This study has breached those three subjects analytically and has concluded that Mohammed was not ignored, but rather they knew him, his name and his quality, as well as when, where, and how he will be sent as a mercy to the Cosmos.